الهند في التراث البلداني(١) العربي
(خلال القرنين ٣، ٤هـ/٩، ١٠م)

الدكتور حسين علي الطحطوح
قسم التاريخ / كلية التربية

تمهيد :

لم تكن ظاهرة اهتمام العرب بشؤون البلدان وحياة سكانها ، وما خلفته من تراث حضاري إنساني خلال العصر الوسيط ، مقتصرة على الفترة التي أشرتها الدراسة ، فقد شهد تاريخهم القديم(٢) معرفتهم بعلم الفلك الرياضي ، وولعهم بالاسفار والمغامرات والانشطة التجارية داخل وخارج وطنهم .

ومنذ العصور الاسلامية الأولى ، تعزز هذا الأتجاه بتوالد (٣) المسلمين

(١) نظراً لتعدد اهتمامات المؤلفين بين (جغرافي ورحالة ومؤرخ ، واديب وشاعر ورياضي فلكي وتاجر ومغامر وموظف وفقيه ...الخ) وبسبب التداخل في اهتمام كل منهم في اكثر من مجال ، ولانهم يلتقون جميعاً في حقل معرفي واحد يتعلق بعلم البلدان ، فقد استعملنا هذا التعبير (البلدانيون) ، وهو تعبير دارج ومعروف لدى عدد من الباحثين مثل : صالح احمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، اعيد طبعه على مطابع مؤسسة دار الكتب الطباعة والنشر في جامعة الموصل ، ١٩٨١ ، ج١ ، ص ٢٢٥ ، كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، نقله الى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد م مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م ، ص١٢ ، طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، الطبعة الثانية ، بغداد ، شركة التجارة والطباعة المحدودة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م ، القسم الاول ، ص ٣٢٥ – ٣٢٩ ، ٣٣١ – ٣٥٦ ، الجزء الثاني ص ١٥٥ – ١٥٦ .

(٢) عرف العراقيون القدماء ، علم الفلك والرياضيات والخرائط قبل غيرهم من شعوب العالم اضافة الى معرفة المصريين القدماء بذلك ، باقر ، المرجع السابق القسم الاول ، ص٣٢٥ – ٣٢٩ ، ٣٣١ – ٣٥٦ ج٢ ، ١٥٥ – ١٥٦. هذا إضافة الى النشاط التجاري الواسع للسومريين والبابليين والاشوريين والفراعة والفينقيين ، والحملات العسكرية وغير ذلك مما اغنى هذا التراث لديهم .

(٣) زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، بيروت ، دار الرائد العربي ١٤٠١هـ/١٩٨١م (صفحة المقدمة) ، مصطفى الشهابي ، الجغرافيون العرب ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢م ، ص٢٣ – ٢٥ ، نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٦٢م ، صفحة المقدمة ، ١٤٧ ، ١٤٨ .

من مختلف القوميات والبلدان الى الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج او العمرة وانصرف بعض منهم الى جمع الأحاديث النبوية من مصادرها التي توزعت في اقاليم الدولة العربية الأسلامية ، في حين إنشغل آخرون بطلب العلم والسفر من أجله احياناً . وهكذا بدأت حركة التدوين بصورة تدريجية ، وظهرت العلوم النقلية التي لم تخل من ملامح أدب البلدان خلال العصر الأموي .

وقد أتسم القرنان (٤٠٣هـ/١٠٠٩م) بعدد من السمات (٤) الاساسية ، وفي مقدمتها : الظروف السياسية الخاصة بالدولة والتطور الحضاري وإنعكاساته على الحياة الأجتماعية ، وإستعمال العلوم الرياضية الفلكية لتحديد مواقع البلدان ومدنها وجزرها ومياهها ، وكثرة الأسفار والرحلات البرية والبحرية وتعدد دوافعها وتباين تخصصات وإتجاهات القائمين بها ، وزيادة عدد مؤلفاتهم — كماً ونوعاً — ووضع معلوماتها تحت تصرف الدولة والأفراد على حد سواء . وكان من نتائج ذلك إرساء معالم مدرسة جغرافية عربية مستقلة عن التأثيرات الأجنبية ، وإغناء التراث العربي الاسلامي بمختلف المعارف ، التي أكدت كفاءة البلدانيين العرب الفائقة ، خاصة وأنهم لم يقتصروا في مؤلفاتهم على أقاليم الدولة ، بل تناولوا أيضاً بعض البلدان الأخرى ، ومن بينها الهند .

وفي ظل السمات المتقدمة ، فإن موضوع (الهند في التراث البلداني العربي) يكتسب اهمية خاصة . فمن الناحية السياسية ، لم تكن الهند — باستثناء السند — بلداً إسلامياً ، وكانت مجزأة إلى ممالك كثيرة ، تعاني من عدم الأستقرار والحروب الداخلية والخارجية. أما تراثها الضخم فلم يكن مدوناً محلياً ، كما دونه البلدانيون عنها . لذلك فمن بين اهداف البحث ، محاولة إبراز الدور الحضاري للبلدانيين العرب ، وأهمية تفاعلهم وفضلهم الانساني على الهنود ، بما يعزز العلاقات المشتركة في الوقت الحاضر .

إشتمل البحث على ثلاثة مباحث ، إضافة إلى (تمهيد) و (خلاصة ونتائج) تناول المبحث الأول (دوافع الاهتمام بالبلدان) تشخيص الأسباب الأساسية

(٤) سوف نتعرض لذلك لاحقاً .

التي كانت وراء ظهور هذا النوع من الأدب ، سواء ماتعلق منها بظروف الدولة وحاجاتها المختلفة ، أو ماتعلق بحياة المجتمع وما طرأ عليها من تغيرات كثيرة في ظل تلك الظروف ، كما تضمن الاشارة إلى أهمية العلاقات الخارجية وخصوصية بلاد الهند في هذا الجانب . وفي المبحث الثاني (البلدانيون) تعرضنا إلى التعريف بأبرز البلدانيين الذين إهتموا بالهند ، ووجيزا عن حياتهم العامة ، ودور كل منهم في اغناء هذا التراث ، وتحديد الذين زاروا الهند منهم ، مع الاشارة إلى مؤلفاتهم ذات الصلة بالموضوع . أما المبحث الثالث (ملامح التراث البلداني) فقد تضمن ستة عناوين هي : (في وصف الهند) من حيث موقعها بين أقاليم العالم السبعة المعمورة ، ومحاولة التعرف على حدودها وطبيعتها وتصنيف اهلها وملوكها بين أمم العالم وملوكه ، ثم الاشارة إلى خصوصية السند آنذاك . كما حاولنا في (النواحي الإجتماعية) التعرف على واقع التركيب الطائفي ، وخصائص كل طائفة ، و الملامح العامة لحياة الهنود بما فيها العادات والتقاليد والملابس والمأكل وغيرها . وفي (المسائل الدينية) تطرقنا الى ابرز كتبهم وفلسفاتهم وفرقهم الدينية ، وطبيعة عباداتهم وموقفهم من الانبياء والرسل ، وعلاقتهم مع المسلمين اما في (النواحي السياسية) فقد بينا أبرز ممالكهم ومواقعها ، وعلاقاتهم ببعضهم ، وصفات ملوكهم ، ثم تحدثنا عن (الجوانب العلمية) المختلفة التي عرف بها الهنود ، وبداياتوصولها الى العرب . كما تعرفنا على (النواحي الاقتصادية) للهنود ، وخاصة المواد التي كانت مرغوبة فيها في بلاد العرب ، وكذلك ماينعلق بهذا الجانب من وسائل البيع والشراء والنقود والطرق ، وموقف الهنود من القادمين الى بلادهم . وقد انتهى البحث بـ(خلاصة ونتائج) هامة تمحورت حول أهمية هذا التراث سابقا ولاحقاً وشموليته بما لايدع أي مجال للتشكيك فيه أو التقليل من قيمته التراثية .

دوافع الاهتمام بالبلدان :

ارتبطت دوافع الاهتمام بالبلدان بصورة عامة ، بالظروف والتطورات التي طرأت على الدولة والمجتمع آنذاك ، ومارافقها من علاقات ايجابية

وتفاعل حضاري خارجي . فعلى الصعيد السياسي الداخلي توقفت الفتوحات العربية ، وبدأت الدولة تفتقد وحدتها السياسية (٥) بصورة تدريجية . كما زاد خطر الحركات (٦) المناوئة . لكن برغم ذلك مازالت اراضي الدولة واسعة ، واقاليمها وشعوبها كثيرة وروابط الدين ووشائج الثقافة مستمرة .

لذلك فقد كانت الدولة بحاجة ماسة الى المعلومات (٧) والدراسات في السلم والحروب — التي من شأنها المحافظة على وحدتها السياسية ، وتسهيل مهامها الادارية من خلال ادامة الصلة بين ولاة الاقاليم والعاصمة ، وتطبيق الاحكام الشرعية المتعلقة بجباية الضرائب . وتأمين الطرق العامة لقوافل الحجيج والتجارة وغيرها .

وفي الجانب الاقتصادي ، شهدت تلك المرحلة ارتفاع المستوى المعيشي لبعض الشرائح الاجتماعية ، ومانتج عنه من زيادة الاستهلاك . وتعدد متطلبات الحياة التي رافقت حالة النهوض الحضاري . لذلك كان لابد من نشاط تجاري داخلي وخارجي يتناسب مع ماأشرنا اليه . وبرغم مايرافق هذا النشاط من مغريات الربح ، وعدم تأثره أحيانا (٨) بطبيعة الظروف السياسية التي كانت سائدة ، الا أنه من الضروري لهذا النشاط ، المعرفة المسبقة بالبلدان وطرقها واسعارها وطبيعة منتجاتها وغير ذلك من المستلزمات الضرورية.

أمام هذا الواقع وحيث ان المعلومات والكتب الوصفية التي تتعلق به كانت نادرة فقد تطوع البلدانيون — الرحالة والجغرافيون وغيرهم — بدوافع

---

(٥) بدليل ظهور عدد من الدويلات والامارات في الاقسام الشرقية من الدولة العربية الاسلامية مثل: الطاهريين في خراسان ٢٠٥ — ٢٥٩هـ/٨٢٠ — ٨٧٢م والصفارين في سجستان ٢٥٤ — ٢٩٨هـ/٨٦٨ — ٩١٠م ، والسامانيين ٢٦١ — ٣٩٨هـ/٨٧١ — ١٠٠٧م وغيرهم ، هاشم الملاحيدي ورشيد الجميلي : تاريخ الدويلات العربية الاسلامية في المشرق والمغرب ، بغداد ، ١٩٧٩م ، القسم الخاص بالمشرق .

(٦) مثل حركات الخوارج والفرس والعلويين وغيرها ، خليل ابراهيم السامرائي وآخرون ، تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل ١٩٨٨ ، الفصل الاول .

(٧) حسن ، المرجع السابق ، صفحة المقدمة ، الشهابي ، المرجع السابق ، ص٢٣ — ٢٥ ، زيادة ، المرجع السابق صفحة المقدمة ، ١٤٧ .

(٨) ابو الحسين محمد احمد بن جبير ، رحلة ابن جبير ، ليدن ١٨٥٢م ، ص ٢٩٠.

مختلفة كالمغامرة وطلب الشهرة والكسب المادي وطلب العلم وغيرها (٩)، وجابوا مختلف أقاليم الدولة وخارجها ، وسجلوا ما شاهدوه وسمعوه من معلومات ، مستفيدين من بعض التسهيلات (١٠) التي سمح بها الدين الاسلامي تخفيفاً لمشقة السفر .

ومن بين العوامل الأخرى التي ساهمت في تكوين هذا التراث وإغنائه علاقة العرب الخارجية وسمعتهم الطيبة بين الأمم ، وتفاعلهم الحضاري الانساني معها ، حيث تمكنوا من إدخال (١١) العلوم الرياضية الفلكية والأخذ بها كجزء مهم من هذا التراث. وكان للهند دور متميز في هذا المجال. ويتضح ذلك من خلال نقل العاصمة (١٢) إلى العراق ، والغاء (١٣) بعض الخلفاء ضرائب التجارة البحرية وتبادل (١٤) بعض الخلفاء والأمراء الوفود والهدايا مع ملوكها ، وإدخال بعض العلوم الهندية إلى بلاد العرب . هذا فضلاً عن تبعية جزء منها — السند — للحكم العربي الاسلامي ، وما كانت تحويه الهند من غرائب وثروات ومعتقدات شكلت بمجموعها عوامل جذب واهتمام البلدانيين .

---

(٩) وضحنا ذلك في ملخص حياة كل منهم .

(١٠) مثل السماح بتعدد الزوجات ، والتيسير في اداء فرائض الاسلام في اثناء السفر ، حسن المرجع السابق ، صفحة المقدمة ، الشهابي ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(١١) محمد بن اسحاق بن النديم ، الفهرست ، القاهرة ، ١٩٢٩ ، ص ٣٤٢ ، ٤٢١ – ٤٨٤ موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق نزار رضا ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٥م ، ص ٤٧٣ – ٤٧٧ ، اغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي ، نقله الى العربية صلاح الدين عثمان هاشم الخرطوم ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦١م/ القسم الاول ، ص ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٧٩ .

(١٢) احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبي ، البلدان ، (نشر في نهاية كتاب الأعلاق النفيسة ، لابن رسته) ص ٢٣٤ .

(١٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، النجف ، المكتبة الحيدرية ١٩٧٤م ، ج ٢ ، ص ٤٨٣ (الخليفة الواثق) .

(١٤) القاضي الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، حققه محمد حميدالله ، الكويت ، ١٩٥٩م ص ٢٠ – ٢٥ ، ٣٢ ، ٣٣ .

البلدانيون :

ليس من بين أهداف المبحث دراسة حياة البلدانيين دراسة مفصلة ، أو متابعة مراحل أسفارهم أو تقويم مؤلفاتهم ، إنما أردنا ان نعطي تعريفاً سريعاً بأبرزهم مع الاشارة إلى مؤلفاتهم ذات الصلة بالموضوع .

١ — أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي (ت ٢٣٠ هـ / ٨٣٥ م) . عاش في عهد الخليفة المأمون (١٩٧ — ٢١٨هـ / ٨١٣—٨٣٣م) الذي أوكل اليه مهمة شؤون (دار الحكمة) . كان مولعاً بدراسة الفلك والرياضيات والجغرافية ، ويعد واضع الأساس الأول لعلم الجغرافية العربي . له كتاب (صورة الأرض) . وهو معني بتحديد مواقع أقاليم العالم السبعة .

٢ — أبو زيد الحسن السيرافي (ت ٢٦٤هـ /٨٧٧ م). سائح عربي بصري من قبيلة قريش . سافر من سيراف إلي الصين ماراً بالهند . وقد جمع معلوماته في كتاب (رحلة السيرافي إلي الهند والصين واليابان واندونيسيا) مستفيداً من معلومات التاجر العراقي (سليمان) الذي كان أول سائح غامر بالذهاب إلي سواحل الهند والصين عام ٢٣٧هـ / ٨٥١م، كما استفاد من معلومات ابن وهب القرشي ، الذي كان من أصحاب الثروة والجاه في العراق، ثم رحل من البصرة إلي الصين عام ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م .

٣ — أبو العباس أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ /٨٩٧ م) . ولد ببغداد ، وعاش في أرمينيا زمناً طويلا موظفاً . زار خراسان والهند وفلسطين والمغرب ومصر . وتدل المعلومات التي ضمنها كتابيه (تاريخ اليعقوبي) و (البلدان) على امكانيته الكبيرة مؤرخاً وجغرافياً في آن واحد .

٤ — أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م). واحد من أوائل الجغرافيين ، حصل على تعليم جيد ، ثم

درس الموسيقى على يد اسحاق الموصلي . أصبح بعدها مقرباً من الخليفة المعتمد (٢٥٦ – ٢٧٩هـ / ٨٧٠– ٨٩٢م) ، مما ساعده على التعيين بوظيفة (صاحب البريد والخبر) في أقليم الجبال في ايران وعندما طلب منه تأليف كتابه (المسالك والممالك) ، جمع اغلب مادته من المعلومات التي حوتها الوثائق الرسمية . و يعد كتابه من أول المصنفات في الجغرافية الوصفية .(١٥).

٥ – مسعر بن مهلهل الخزرجي الينبعي المعروف بأبي دلف . كان شاعراً وأديباً ورحالة . سافر إلى بلاط الأمير نصر بن أحمد السامانى (٣٠١ – ٣٣١هـ/٩١٤ – ٩٤٣م) ، وسافر من هناك مع وفد صيني إلى الصين من خلال تركستان ، وعاد من الصين من خلال الهند، حيث تحدث عن بعض (١٦) مناطقها . وهو أول رحالة عربي يصل الهند براً،وقد ذكرت معلومات رحلته بعض المصادر اللاحقة.

---

(١٥) كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، القسم الاول ، ص ٩٨–١٠٣ ، الشهابي ، المرجع السابق ، ص ٤٠ ، دائرة المعارف الاسلامية ، نقلها الى العربية محمد ثابت الفندي واخرون ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م/م٩ ، ص ١٨ – ٢١ (حول الخوارزمي) محمد اسماعيل الندوي ،تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية،الطبعة الاولى، بيروت، دار الفتح للطباعة والنشر ، (لا.ت) ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، القسم الاول ، ص ١٤١ – ١٤٢ ،حسن،المرجع السابق ، ص ١٨ – ٢٥، الشهابي ، المرجع السابق ، ص ٤١ (حول السيرافي) .
كراتشكوفسكي ،المرجع السابق،القسم الاول ، ص ١٥٩ ، الشهابي ، المرجع السابق، ص ٤٥ – ٤٦ ، حسن المرجع السابق ، ص ٣٥ ، مقدمات كتب اليعقوبي (حول اليعقوبي) . دائرة المعارف الاسلامية،م/١ ، ص ١٤٩ ، كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ،القسم الاول،ص ٤٢،١٥٥ – ١٥٨ ، الشهابي ،المرجع السابق ،ص ٤٢ (حول ابن خرداذبة) .

(١٦) الشيخ الامام شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ،معجم البلدان،بيروت، دار صادر ،دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م ،ص/٣ ، ص٤٤١١ ،كراتشكوفسكي، المرجع السابق ، القسم الاول ،ص ١٨٨ – ١٩٠، الندوي ، المرجع السابق ، ص ١٢٦ ، حسن ، المرجع السابق ، ص ٢٣ ، اسماعيل العربي ، الاسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية ، طرابلس ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٥م، ص ١٠٤ .

٦ — أبو أسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي (ت. في النصف الأول من القرن ٤هـ/١٠م) ، ويعد أحد الجغرافييـن المهمين في القرن المذكور . بدأ رحلاته طلباً للعلم والمعرفة ، زار خلالها الأقاليم الأسلامية ومن بينها السند ، حيث الف كتابه (المسالك والممالك) الذي صاغه بأسلوب بسيط وزوده بالخرائط .

٧ — أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٦م) . نشأ في بغداد ، ثم سافر منها عام ٣٠١هـ/٩١٣م طلباً للعلم وبحثاً عن الحقائق الجغرافية . وقد زار مختلف البلاد الواقعة بين الصين والمحيط الأطلسي ، ومن ضمنها الهند . كان يجيد عدة لغات (الهندية والفارسية والرومية والسريانية) ، وقد وصف بأنه عالم فلكي وجغرافي ومؤرخ وأديب وفقيه ورحالة وغيرها . ومن مؤلفاته (مروج الذهب ومعادن الجوهر) و (أخبار الزمان) و (التنبيه والاشراف) . ويعتبر المسعودي من بين أهم جغرافيي القرن ٤هـ / ١٠م .

٨ — أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي الموصلي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٩م) . ولد ببغداد ثم أصبح من كبار تجارها . يعد من الرحالـة المثقفين الذين اتخذوا من التجارة وسيلة لتفهم خصائص الأقاليـم وطبائع الشعوب . غادر بغداد عام ٣٣١هـ/٩٤٣م ولم يعد اليها إلا بعد ثلاثين عاماً ، زار خلالها كل الأقاليم الاسلامية ومن بينها السند ، ووضع لها خرائط متميزة في كتابه (صورة الأرض) ، لذلك لم يكن دور ابن حوقل في إغناء الأدب الجغرافي ، باقل من سابقيه .

٩ — شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي المعروف بالبشاري (ت٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) . اعتبر أبرز الرحالة العرب قاطبة ، وآخر الجغرافيين الكبار في القرن المذكور ، وأكثرهم أصالة . رحل إلى مختلف الأقاليـم الاسلامية ومنها السند ، ولم ينقطع عن الرحلة إلى ان بلغ الأربعين من

عمره . الف كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) معتمداً على المشاهدة المباشرة ودقة الملاحظة ، ومن بعض المسافرين والمصادر التي يثق بها .

١٠ — بزرك بن شهريار الناخداه الرامهرمزي (ت في القرن ٤هـ /١٠م) . كان سائحاً ورباناً محترفاً ملاحة السفن . عاش في العراق ومنها بدأ رحلته إلى الهند والصين . وقد استقى معلومات كتابه (عجائب الهند) من مشاهداته (١٧) وما رواه بعض المسافرين . هذا اضافة إلى بلدانيين آخرين اهتموا بالهند ، إلا ان المعلومات المتعلقة بحياتهم ورحلاتهم وكيفية جمعهم المعلومات التي تضمنتها كتبهم قليلة . ومن هؤلاء : أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه (ت ٢٨٩هـ / ٩٠٢م) مؤلف كتاب (مختصر كتاب البلدان) ، وأبي علي أحمد بن عمر بن رسته (ت ٣١٠هـ /٩٢٢م) مؤلف كتاب (الأعلاق النفيسة) ، وأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت ٣٢٠هـ /٩٣٢م) مؤلف (كتاب الخراج وصنعة الكتابة) .

(١٧) دائرة المعارف الاسلامية ، م/٢ ، ص ٢٥٦ ، كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، القسم الاول ، ص ١٩٩ ، حسن ، المرجع السابق ، ص ٣٦ ، العربي ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ ، الندوي ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ (حول الاصطخري) الشهابي ، المرجع السابق ، ص ٥٠ ، الندوي ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ ، العربي ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ ، حسن ، المرجع السابق ، ص ٣٦ ، كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، القسم الاول ، ص ١٧٧ ، مقدمات كتب المسعودي (حول المسعودي) . زيادة ، المرجع السابق ، ص ٣٢ ، الندوي ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ ، كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، القسم الاول ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، العربي ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ ، دائرة المعارف الاسلامية ، م/١ ، ص ١٤٥ ، حسن المرجع السابق ، ص ٣٩ ، الشهابي ، المرجع السابق ، ص ٥٤ (حول ابن حوقل) . الندوي المرجع السابق ، ص ١٢٨ ، العربي ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ ، كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، القسم الاول ، ص ٢٠ ، حسن ، المرجع السابق ، ص ٤٢ ، زيادة ، المرجع السابق ، ص ٥٠ ، الشهابي ، المرجع السابق ، ص (٥٦ حول المقدسي) ، زيادة ، المرجع السابق ، ص ١٣٥ ، الندوي ، المرجع السابق ص ، ١٢٦ ، دائرة المعارف الإسلامية ، م/٣ ، ص ٦١٧ (حول بزرك) .

ملامح التراث البلداني

١ – في وصف الهند :

قبل محاولة التعرف على الملامح العامة للهند نرى من المفيد الاشارة الى حقيقتين ساسيتين ، الاولى تعامل (١٨) بعض البلدانيين مع المناطق الغربية من الهند – السند – على اساس ظرفها السياسي آنذاك ، كأحد اقاليم الدولة العربية الاسلامية وليس على اساس تاريخي كجزء من الهند ، ولذلك إقتصرت رحلة البعض منهم على السند ، وتناولوها بالوصف المسهب ورسموا خارطتها واشروا حدودها على نحو لم تشهد مثله بقية مناطق الهند. اما الحقيقة الثانية ، فتكمن في صلات الهنود القديمة مع بعض المناطق المجاورة، وهجرتهم اليها، وتأثيرهم الحضاري المتعدد الجوانب عليها، الامر الذي جعل بعض البلدانيين لايكتفون بمفهوم الهند على اساس شبه القارة الهندية، بل اضافوا ايضاً(١٩) جزر المخيط الهندي مثل (المالديف وسرنديب، واندونيسيا) ومختلف البلاد التي تعرف حالياً بدول جنوب شرقي آسيا.

لهذا فقد اصبحت تلك الجزر امتداداً لجنوبي الهند. فيما شكلت الصين(٢٠) والتبت حدودها الشرقية والشمالية ، ونهر الاندوس (٢١) – نهر مهران – الى غربها . وبذلك اعتبرت مساحتها اضعاف (٢٢) مساحة الصين . اما من

---

(١٨) مثل : الاصطخري ، وابن حوقل والمقدسي الذين افردوا فصولا كاملة عن السند .

(١٩) ابو زيد الحسن السيرافي ، رحلة السيرافي الى الهند والصين واليابان واندونيسيا ، بغداد ، نشر علي البصري ، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م ، ص ٦ ، ٧ ، ٥٠ ، اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ١٠٨ ، ابو علي احمد بن عمر بن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ليدن ١٨٩١م ، (مصور مكتبة المثنى ببغداد)ص ٨٧ ، ٨٨ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، فيصل السامر) الاصول التاريخية للحضارة العربية الاسلامية في الشرق الاقصى ، الطبعة الثانية ،بغداد ، وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٨٦م ،ص ٦٠ .

(٢٠) ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي ، الاقاليم ،(مصدر مكتبة المثنى ببغداد)،ص ٢،ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الاندلس للطباعة والنشر ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، ج١ ، ص ٨٢ ، ٩٨ ، ١٥٧ – ١٥٨ .

(٢١) كما يظهر ذلك على خارطة السند التي رسمها الاصطخري وابن حوقل . كذلك ينظر المسعودي ، مروج ج١ ، ص ٨٢ ، ١٥٧ – ١٥٨ .

(٢٢) السيرافي ، المصدر السابق ، ص ٥٥ ، ابو بكر احمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م ، (مصورة) ، ص ١٤ .

اهتم بشبه القارة الهندية — دون السند — فقد ذكر طولها (٢٣) بمسافة اربعة اشهر وعرضها بمسافة ثلاثة اشهر ، دون ان يوضح الواسطة المستعملة لقطع تلك المسافات .

اما موقع الهند من اقاليم العالم السبعة المعمورة ، فتقع (٢٤) في الاقليم الأول ، كما تقع (٢٥) في القسم الجنوبي من العالم .

ولسعة بلاد الهند ، فقد تباين سطحها (٢٦) وتنوع مناخها وتعددت معادنها وحيواناتها ومنتجاتها تبعاً لذلك . واذا ما اضفنا ما لهذه البلاد من تراث عريق وفلسفة خاصة في الحياة والموت ، **وما لاهلها** وملوكها من دور معروف بين امم العالم وملوكهم ، وما فيها من اجناس كثيرة متنوعة الاعراق واللغات والعادات والعبادات ، ادركنا سبب اهتمام القادمين اليها عبر العصور .

٢ — النواحي الاجتماعية :

بسبب سعة الهند وخصائصها الطبيعية وكثرة الغزوات والهجرات التي تعرضت لها في تاريخها القديم (٢٧) والوسيط ، فقد تعددت اجناسها ، ومنذ

---

(٢٣) الاصطخري ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبدالعال الحيني ، مراجعة محمد شفيق غربال ، الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، الادارة العامة للثقافة ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م ، ص ١١ .

(٢٤) ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي ، صورة الارض ، اعتنى بتصحيحه هانس فون فريك ، فينا ، ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م ، ص ٤ — ٨ ، ٩٤ — ١٠٠ ، ١١٠ ، سهراب ، عجائب الاقاليم السبعة الى نهاية العمارة ، فينا ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م ، ص ١٢ — ١٦ ، المسعودي) التنبيه والاشراف ، صححه وراجعه عبدالله اسماعيل الصاوي ، القاهرة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م (مصور مكتبة المثنى ببغداد) ، ص ٢٩ ، ابن رسته ، المصدر السابق ، ص ٩٦ .

(٢٥) السيرافي ، المصدر السابق ، ص ٤٠ ، المسعودي ، التنبيه ، ص ٧٣ ، مروج ، ج١ ص ١٠٢ ، ١٨٠ .

(٢٦) ابن رسته ، المصدر السابق ، ص ٨٨ ، المسعودي ، التنبيه ، ص ١٩١ .

(٢٧) ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ، ج١ ، ص ٥٧٤ — ٥٧٨ ، المسعودي ، مروج ، ج٣ ، ص ٣١٩ .

وصول الغزوات الآرية إلى الهند (القرن ١٥ ق.م)، ، بدأت(٢٨) ملامح النظام الطائفي على المجتمع الهندي.. وبموجبه احتفظت كل طائفة بخصائصها وعرقها ومهنتها .

ومن ابرز تلك الاجناس (٢٩) والطوائف الشاكرية الذين يعدون اشرف السكان ، وفيهم الملك وتسجد لهم باقي الطوائف ولا يسجد افرادها لأحد. ثم البراهمة — رجال الدين —) وهم الوسطاء بين الالهة والسكان ، يعظمهم الهنود ، ويعتبرونهم من بين الاجناس الشريفة ، وهم لا يشربون الخمور ، ويطوقون رقابهم بخيوط صفر.. وطائفة الكشترية — المحاربون — ، وهؤلاء لا تزوجهم البراهمة ، ويمكن للبوهمي الزواج من نسائهم.، ويسمح لهم بتناول قليل من الخمور. وطائفة الشودرية التي تحددت مهامها في الزراعة والخدمة العامة ، وطائفة البيشية التي إمتهنت الصناعات والحرف والتجارة ، واخيراً طائفتا السندالية والذنبية ، اصحاب اللهو واللحون .

ورغم التوزيع الطائفي المتقدم ، فمن الملاحظ التقاء الهنود في حياتهم اليومية على كثير من التقاليد . فهم في الغالب (٣٠) يكتفون بارتداء الازر(الفوط) ويتحلون باساورة الذهب والاقراط — الرجال والنساء — ، ويطيلون الشعر — خاصة اللحي — ، وإذا مات احدهم حُلق رأسه . كما كانوا يزاولون لعب الشطرنج والنرد . اما طعامهم فهم يفضلون الرز ، واحياناً السمك والبيض

---

(٢٨) احمد شلبي ، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، الطبعة الاولى .القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٣م ، ج٨ ، ص ٢٥١ — ٢٥٤ ، الندوي ، المرجع السابق ، ص ١١ ، ١٢ .

(٢٩) ابو القاسم عبيدالله بن عبدالله المعروف بابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ليدن ١٨٨٩م (مصور مكتبة المثنى ببغداد) ، ص٧١ ، المسعودي ، مروج ، ج١ ، ص٩٣ . شرف الزمان طاهر المروزي ، طبائع الحيوان ، لندن ١٩٤٢ ، نشر مينورسكي ، ف ، ص ٢٦ — ٢٨ .

(٣٠) السيرافي ، المصدر السابق ، ص ٥٥ ، ٥٦ ، ٨٣، ابن الفقيه، المصدر السابق ص ١٥ ، المسعودي، مروج ،ج١ ، ص٤٢٦ ، الحموي ، المصدر السابق ، ٢/١ ، ص ٤٤٥ .

والتمور ، وهم يقتلون ما ارادوا اكله ولا يذبحونه ، ويستاكون ويغسلون الأيدي قبل الأكل .

كما عرف الهنود بتأكيدهم على تعذيب انفسهم (٣١) . في سبيل الوصول الى النعيم والسعادة المؤجلة ، لذلك منهم من كان يقدم على احراق نفسه بعد أن يستأذن من الملك ومنهم من يلجأ الى إغراق نفسه في المياه العميقة . كما عرفوا ايضاً بالتبرك بمياه نهر الكنك – النهر المقدس – وكثرة الاغتسال فيه ، للتكفير عن الذنوب وعقوق الوالدين .

وفي السنن والاحكام التي اتخذ الهنود منها موقفاً متشدداً (٣٢) ، السرقة وشراء المسروق ، حيث كانت عقوبة ذلك القتل او الغرامة الكبيرة ، وإن كان السارق او مشتري البضاعة المسروقة من المسلمين ، احيل الى قاضي المسلمين لمحاسبته وفق احكام الشريعة الاسلامية .

٣ – المسائل الدينية :

إستندت معتقدات الهنود الدينية ، على عدد من الكتب الوضعية ، ابرزها(٣٣) (الويدا ، البراهمانا ، الأبانيشاد ، شرائع منو) التي الفت في فترات تاريخية متباعدة . وقد تمخض عنها ظهور فلسفاتهم الدينية الرئيسة (٣٤) (كالبرهمية والبوذية) . وبمرور الزمن ، تعددت (٣٥) فرقهم الدينية ومذاهبهم ، وترسخت التناقضات في معتقداتهم ، فمن فرقهم من يثبت الخالق ويعترف

(٣١) السيرافي ، المصدر السابق ، ص ٥٣ ، ٩٥ ، المسعودي ، مروج ، ج١ ، ص ٢٣٢ – ٢٣٣ ، المروزي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ ، ٣٣ .

(٣٢) السيرافي ، المصدر السابق ، ص ٥٤ ، بزرك بن شهريار الناخداه الرامهرمزي ، عجائب الهند ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ، ص ١١٥ .

(٣٣) غوستاف لوبون ، حضارة الهند ، نقله عادل زعيتر ، الطبعة الاولى ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٤٨م ، ص ٢٥٤–٢٥٥ ، الندوي ، المرجع السابق ، ص ١٤ ، ٤٠ .

(٣٤) محمد شفيق غربال (مشرف) ، الموسوعة العربية الميسرة ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص ٦ . ١٩ ، لوبون ، المرجع السابق ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٣٣٨–٣٣٩ ، الندوي ، المرجع السابق ، ص ١٢ ، ١٤ .

(٣٥) ابن خرداذبة ، المصدر السابق ، ص ٧١ ، المروزي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .

بالأنبياء (؟) ، ومنهم من يثبت الخالق وينفي الرسل (كالبراهمة) ، ومنهم من ينفي الكل ويثبت الثواب والعقاب (كالشمنية) .

ورغم ان غالبية الهنود (٣٦) يعترفون بالله عز وجل وملائكته ، ويعتقدون بالجنة والنار والثواب المؤجل ، فانهم يأخذون (٣٧) (بوحدة الوجود) أي وحدة الخالق والمخلوق . ويؤمنون بتناسخ الأرواح (٣٨) ، ويعتقدون ان الله عز وجل (٣٩) وملائكته على شكل أجسام احتجبت في السماء ، لذلك أكثروا (٤٠) من الآلهة وأشكالها المختلفة (كالتماثيل والأصنام) وبعض قوى الطبيعة وغيرها وقدموا لها القرابين لتقربهم إلى الله .

وكان من أبرز اصنامهم (٤١) ، صنم مدينة الملتان ، الذي يأتيه الهنود من مختلف مناطقهم للتبرك به والحج إلى مكانه ، وربما قدم له بعضهم كل أمواله أو أحد بناته ، أو استأذنه بقتل نفسه طلباً لرضاه . وهم يعتقدون انه نزل من السماء .

وبينما أشارت مصادرنا إلى الهنود بأنهم (٤٢) (كفار وعبدة أصنام) ، فان المسلمين الذين عاشوا بينهم ، (٤٣) تمتعوا بالحرية الدينية الكاملة في اداء فرائض الأسلام وسننه وكانت مساجدهم عامرة وأعدادهم كثيرة ، وكانوا يرفضون ان يتولى عليهم من غيرهم .

---

(٣٦) اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص ٧٢ ، المسعودي ، مروج ، ج٢ ، ص ٢٢٤ ، اخبار الزمان ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م ، ص ٢٧ .

(٣٧) العربي ، المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٣٨) ابن الفقيه ، المصدر السابق ، ص ١٤ ، السيرافي ، المصدر السابق ، ص٨٥ ، المسعودي ، مروج ، ج١ ، ص ٩٨ .

(٣٩) المسعودي ، مروج ، ج٢ ، ص ٢٢٤ .

(٤٠) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٣ ، ص ٨٠ ، المسعودي ، مروج ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

(٤١) ابن رسته ، المصدر السابق ، ص ١٣٦ ، الحموي ، المصدر السابق ، م/٣ ، ص ٤٤٧ .

(٤٢) اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص ٨٠ ، ابن الفقيه ، المصدر السابق ، ص ١٥ . الاصطخري المصدر السابق ، ص ١٠٢ ، شمس الدين ابي عبدالله محمد بن احمد المقدسي المعروف بالبشاري ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ١٩٠٦م (مصور مكتبة المثنى ببغداد) ، ص ٩ ، ٣٣ .

(٤٣) الاصطخري ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ ، المسعودي ، مروج ، ج١ ، ص ١٧٠ ، ٢١٠ ، ٢٣٤ .

٤ ـ النواحي السياسية

سبقت الاشارة الى سعة بلاد الهند في شبه القارة وأطرافها ، وامتدادها على جزر المحيط ، لذلك فقد تعددت (٤٤) ممالكها . وكان أبرزها في الشرق والشمال الشرقي ممالك الطرسول والموشي ، اللتان كانتا تحدان الصين وتمتدان الى بورما الحالية ، ثم مملكتي قاصرون ـ آسام ـ ، ودهمى على الساحل الشرقي لشبه القارة . وكان في الشمال من الممالك ، مملكة الطافن ومملكة جابا ـ جامبا ـ ومملكة قشمير ـ كمشير ـ ومملكة النيبال . وفي وسط شبه القارة مملكة قنوج التي كانت مساحتها نحواً من مائة وعشرين فرسخاً في مثلها . وعلى امتداد الساحل الغربي باتجاه الشمال الغربي ، فكانت تقع مملكة البلهرا ، أعظم ملوك الهند ، وأكثرهم عدلاً ومحبة للمسلمين ، ثم مملكة الجرز ـ جورجرا برتيهارس ـ ، إضافة إلى السند التي كانت خاضعة للحكم العربي الاسلامي . أما في جنوب شبه القارة ، فكانت مملكة رتيلاً وبلد الأغباب ـ الخلجان في أقصى الجنوب ـ . وكان من أهم ممالك جزر المحيط : مملكة الزابج الواقعة في جزيرة جاوة الأندونيسية : وقد وصف ملكها المهراج بسعة الملك وكثرة الجزائر ، ثم مملكة سرنديب ـ ميلان ـ ، ومملكة الديبجات ـ المالديف ـ التي كانت تحكمها إمرأة .

وقد إتسمت الظروف السياسية (٤٥) لهذه الدول بكثرة الحروب والمنازعات والتحالفات بهدف السيطرة والتوسع على حساب بعضها البعض الآخر ، وخاصة دول شبه القارة كما كانت الدول المحاذية للصين في حالة حرب دائمة معها .

---

(٤٤) اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص ٨٠ ، ابن الفقيه / المصدر السابق ، ص ١٥ ، السيرافي المصدر السابق ، ص ٤٠ – ٤٣ ، المسعودي ، مروج ، ج١ ، ص ٩٨ ، ١٨٨ – ١٩٠ ، التنبيه ، ص ٥٤ ، بزرك ، المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(٤٥) المسعودي ، مروج ، ج١ ، ص ٩٨ ، ١٨٧ – ١٨٩ ، المروزي ، المصدر السابق ، ص ٣٥ ، ٣٧ .

ومن الجدير بالذكر ان للهنود بعض الآراء والمواصفات الواجب توافرها في (٤٦) ملوكهم ، فمثلاً ، لا ينصب الملك إلا إذا بلغ الأربعين من عمره ، وإذا ثبت تعاطيه الخمر ، إستحق الخلع عن المملكة ، ولا يظهر ملوكهم لعامة الناس إلا في المناسبات وفي أثناء النظر في أمور الرعية . ويعد الهنود ملوكهم في المرتبة الثانية بين ملوك العالم – بعد ملك بابل – ،وقد جرت العادة ان لا يرزق الملوك الهنود جنودهم ، بل يستدعونهم عند الحاجة على نفقتهم الخاصة .

٥ – الجوانب العلمية :

ادعى الهنود ان أول ملوكهم (٤٧) – برهمن – الملك الأكبر الأعظم الذي كان في زمانه البدء الأول ، كان أول من تكلم في علم النجوم، وأخذ عنه علمها . ومن بين ملامح عصره : تقدم العلم واستعمال الشطرنج والنرد واستخراج الحديد ، وظهور الكتاب (السندهند) أي (دهر الدهور) ، الذي احتوى على علوم الأخلاق والنجوم والمنطق والحساب وأرقامه التسعة ، وعن هذا الكتاب أخذت بعض الأمم القديمة –كاليونانيين – علومها ، حيث جاءت معلومات كتاب (المجسطي) لبطليموس متأثرة به .

وقد ظل الهنود في المراحل اللاحقة ، يعرفون بهذه العلوم ، فقد أشار الكثيرون من البلدانيين إلى معرفة الهنود وتميزهم (٤٨) بعلوم الطب والفلسفة وصناعة الأدوية والحكمة والسحر وغيرها ، وكانت الهند من بين البلاد التي إستفاد العرب من (٤٩) علومها في العصر الوسيط ، حيث وصلت إحدى السفارات الهندية إلى بغداد عام ١٥٤هـ /٧٧١م أو ١٥٦هـ /٧٧٣م ، وكان

---

(٤٦) ابن الفقيه ، المصدر السابق ، ص ١٥ ، السيرافي، المصدر السابق ، ص ٥٦ ، ٥٧ ، المسعودي ، مروج ، ج١ ، ص ٩٩ .

(٤٧) اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص ٧٠ ، المسعودي ، مروج ، ج١ ، ص ٩١ – ٩٥ ، التنبيه ، ص ١٨٨ .

(٤٨) اليعقوبي ، تاريخ /ج١ص ٧٩ ، ابن الفقيه ، المصدر السابق ، ص ١٤ ، السيرافي المصدر السابق ، ص ٥٧ .

(٤٩) كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، القسم الاول ، ص ٧٠ .

بينها أحد العلماء والهنود – كانكا أو مانكا – ، وكان معه رسالة في علم الفلك ، قبل ان يستعمل العرب هذا العلم ويبرزوا فيه لاحقاً .

٦ – النواحي الاقتصادية :

كانت الحاجة إلى معرفة النواحي الاقتصادية للبلدان أحد الدوافع والمحفزات الأساسية التي أولاها البلدانيون اهتماماً كبيراً منذ البداية ، مستفيدين في ذلك من ظروف المرحلة وطبيعتها .

ففي الوقت الذي وصلت فيه الدولة العربية الاسلامية في نهاية القرن ١هـ /٧م إلى المناطق الغربية من الهند – السند) واصبحت في القرن ٢هـ /٨م ، أكبر القوى السياسية والعسكرية في المنطقة ، إلا أنها كانت تفتقر إلى الدراسات الأقتصادية ، وإلى النشاط التجاري الخارجي الواسع النطاق ، قياسا إلى ما شهده القرنان ٤٠٣هـ /١٠٠٩م . إذ برغم ما بدا على الدولة خلالهما من ضعف سياسي وعسكري وفقدان السيطرة المباشرة على بعض الأقاليم ، فان هذه المرحلة شهدت إزدهار الحضارة العربية الاسلامية وظهور الطبقات الاجتماعية الموسرة وتعدد متطلبات الحياة من المواد الأساسية وغير الأساسية التي دعت الحاجة إلى جلبها من مناشئها المختلفة – ومن بينها الهند – لذلك كان من الطبيعي ان يزدهر النشاط التجاري بفضل المعلومات الهائلة التي وضعها البلدانيون في خدمته .

وفي ظل هذه الظروف والمتغيرات ، حظيت أوضاع الهند الاقتصادية وكل ما يتعلق بالنشاط التجاري معها ، بأولوية خاصة من قبل البلدانيين ، لم تحظ بها أية دولة غير اسلامية اخرى ، فقد زارها أغلب (٥٠) البلدانيين ، ودونوا المعلومات المتعلقة بالنواحي الاقتصادية من خلال المعاينة المباشرة والنقل الموثوق به ، وشغلت حيزاً كبيراً من صفحات مؤلفاتهم . ومن ابرزها :

---

(٥٠) اشرنا الى ذلك في وجيز حياتهم .

وصفهم الطرق الخارجية – البرية والبحرية – المؤدية اليها (٥١) وصفاً دقيقاً من حيث مسافاتها – بالفراسخ أو الأميال أو المراحل – وانسب مواسم السفر عليها ، والزمن الذي يستغرقه السفر ، واسماء المدن والموانيء الواقعة عليها .

وبسبب وضع السند المتميز – اقليم إسلامي – فقد اسهبوا في الحديث عن طرقها الداخلية وأسماء (٥٢) مدنها وخراجها (٥٣)، وعززوا ذلك بخرائط واضحة كما أشار بعضهم إلى حالة (٥٤) الأمن التي تمتع بها التجار وغيرهم من القادمين إلى الهند ، وتشدد ملوك الهند في محاسبة السارقين وقطاع الطرق، ومحبة (٥٥) الهنود وتقديرهم للعرب ، واكرامهم للضيف، وتحدثوا عن (٥٦) وسائل البيع والشراء المتبعة عندهم بالنقود المعدنية ، الودع ، والمقايضة وغيرها – أو الاسعار (٥٧) الرخيصة لبعض منتجاتهم ، ثم وجود أسواق (٥٨) الصيارفة في بعض المناطق .

أما أهم المواد التي عرفت بها الهند ، وكان لها رواج واسع في بلاد (٥٩) العرب ، فهي : الرقيق الهندي الأسمر الذي تميز ببعض المهارات المنزلية،

---

(٥١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٨٨ ، ابن خرداذبة ، المصدر السابق ، ص٥٤ – ٥٧ ،ابن رسته ، المصدر السابق،ص ٨٦ ، ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، كتاب الخراج وصنعة الكتابة ،(في نهاية المسالك والممالك ، لابن خرداذبة) ، ص١٨٥، ١٩٦ ، المقدسي ، المصدر السابق ، ص ٣٥٢ .

(٥٢) الاصطخري ، المصدر السابق ، ص١٠٥ – ١٠٧ ، ابو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي ، صورة الارض ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٩م ،. ص٢٧٤ – ٢٨٤ ، المقدسي ، المصدر السابق ،

(٥٣) قدامة ، المصدر السابق ، ص٢٤٢ ، الحموي ، المصدر السابق ، م/٣ ، ص ٤٤٧.

(٥٤) ابن رسته ، المصدر السابق ،ص١٣٥ . وقد سبقت الاشارة الى موقف الهنود من السرقة

(٥٥) السيرافي ، المصدر السابق ، ص ٤١ ، بزرك ، المصدر السابق ، ص ٩٦ .

(٥٦) ابن الفقيه ، المصدر السابق ، ص ١٢ ، السيرافي ، المصدر السابق ، ص ٣٠ ، ٣٣، ٤٣ ، بزرك ، المصدر السابق ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٥٧) المسعودي ، مروج ، ج١ ، ص١٦٧ ، التنبيه ،ص٧٢ ، المقدسي ، المصدر السابق ص ٤٨٠ ، الحموي ، المصدر السابق ، م/٤ ، ص ١٠٣ .

(٥٨) بزرك ، المصدر السابق ، ص ٩٦ .

(٥٩) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٦٥ – ٣٦٨ ، ابن الفقيه ، المصدر السابق ، ص ١٦ ، ابن خرداذبة ، المصدر السابق ، ص ٦١ – ٦٣ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، المسعودي ، مروج ، ج١ ،ص٤٤ ، ١٢٧ ، ١٣٣ ،٤١٩ ، الحموي ، المصدر السابق ، م/٣، ص ٤٤٥ .

وبعض الصناعات كالسيوف والرماح والثياب القطنية المخملة والأحذية) ومواد الطيب (كالمسك والعنبر والكافور والعود) والجواهر (كاللؤلؤ والمرجان والماس) وبعض الحيوانات والطيور (كالفيل والكركدن والببغاء والطاووس)، إضافة إلى البهارات والتوابل وبعض الأخشاب واشجار الفواكه.

خلاصة ونتائج :

على الرغم مما تخلل هذا التراث — قدر تعلق الأمر بالهند — من بعض الأساطير والقصص الخرافية والخيال غير المستند على التأمل العلمي وغير ذلك مما كان سائداً في المشرق بصورة عامة. فانه عبر عن قدرات العرب الكبيرة في ظهور وانضاج هذا النوع من الأدب الوصفي الذي تميز بالشمول. فقد تناول باسهاب وصف بلاد الهند وحدودها وموقعها، ثم تناول التركيب الاجتماعي فيها وتناقضاته، وما ساد فيه من عادات وتقاليد مختلفة، وتطرق إلي معتقداتهم الدينية وفلسفتهم في الحياة والموت، وانواع عباداتهم وموقفهم من الاديان السماوية وانبيائها، وتطرق إلى الممالك الهندية والاوضاع السياسية التي كانت سائدة فيها، ومواصفات ملوكهم، كما تناول دورهم العلمي في مختلف حقول المعرفة، وإمكانياتهم الاقتصادية التي تنوعت بتعدد ممالكهم وسعة بلادهم.

ومما يزيد في اهمية هذه المعلومات أنها جاءت من خلال معاينة البلدانيين المباشرة، او من خلال التقاطها من أفواه التجار والملاحين والمسافرين إلى هناك، لذلك فإن قيمتها الاساسية لا تكمن في تحقيق الطموحات الذاتية الآنية للبلدانيين وتسهيل مهام الدولة الادارية والسياسية، وما قدمته من خدمات كبيرة للنشاط التجاري الذي اصبح في ازهى مراحله، وما ساهمت به من دور كبير في نشر الدين الاسلامي وما نتج عنه من تأثيرات عربية إسلامية مختلفة لاحقاً، بل أيضاً في مساهمتها الكبيرة في سد فراغات مهمة من تاريخ الهند، الذي لم

يكن مدوناً كما دونه البلدانيون العرب ، كما امدت الباحثين على اختلاف تخصصاتهم الانسانية بمعلومات وفيرة لا يمكن تجاهلها عن الهند . فقد كشف البلدانيون غرائب الهند وعجائبها ومجهولها ، وبداية ووثنية معتقداتها امام العالم .

وبذلك فقد سبق العرب غيرهم من الأمم إلى التعريف بالهند وسكانها بصورة مفصلة وساهمت مؤلفاتهم في وضع اسس متينة لترسيخ علاقات العرب والهنود على امتداد المراحل اللاحقة .

اخيراً ، اليس من حق القارىء المنصف ان يستهجن بعض النصوص (٦٠) الاستشراقية التي اساءت عمداً إلى هذا التراث ؟ .

---

(٦٠) قال لسترنج ، المرجع السابق ، ص٣٦٩ ، (وكتابنا هذا لم نرم فيه الى البحث عن الهند في العصور الوسطى ، بل ان البلدانيين العرب انفسهم لم يعنوا بوصف هذه البلاد وصفاً كاملا شاملا ، فهم لم يعرفوا من الموانيء الهندية شرق الخليج العربي ، اكثر من الديبل) .